الفصل الحادي عشر

زارني في الأسبوع الأخير من سبتمبر عام ١٩٨٢ ، لم أتعرف عليه. ذكّرني فتذكرت. قال إنه جاء ليعزيني في أخي. سألني عن أمي وأبي وشقيقتيّ. قال إنه يقيم في باريس وإنها المرة الأولى التي يزور فيها القاهرة منذ رحيله عام ١٩٦٢ ، لم أجد ما أقوله. لمس برودة الاستقبال وتحفظي فاختصر الزيارة والكلام وغادر.

قمت لأعد لنفسي قهوة. فارت مني ثلاث مرات. حاولت مرة أخيرة، حرصت على الإمساك بقبضة الغلاّية، لم أحوّل عينيّ عنها، لم يحل ذلك دون تكرار انسكابها. ألقيت بها بغل، سقطت وتدحرجت وتطاير المتبقي فيها على الموقد وأرضية المطبخ. تركت كل شيء على حاله وأطفأت النور. طرقت الباب ورائي وغادرت البيت. قضيت المساء بطوله أمشي في الشوارع، ألعن إدي، وألعن إسرائيل.

بعد أسبوع أعطاني البواب مظروفا مغلقا. قال إن شخصا تركه لي. فتحت المظروف، وجدت به قصاصات مصورة من ثلاث مقالات منشورة بالفرنسية، وخطاب يقول فيه :

«جئتك من أجل أخيك فأنا أدين له بلحظات هي الأجمل والأكثر سعادة في طفولتي، لم أقصدك لذاتك بل لأنك أخوه، ولم أجد من أذهب له سواك لأقول إنني حزنت لموته. لم تحسن استقبالي. أشعر أنك انتهكت ذكرياتي،